مقالات إسلامية

ابراهيم النصيراوي

الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

مقالات إسلامية

- إلى شباب المستقبل في العراق
- التقريب بين المذاهب.. توضيح ومعالجة
- الفكر الشيعي في مواجهة الإرهاب

إبراهيم النصيراوي

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إليك..

يا عراق المقدّسات

ويا موئل الحضارة والفكر

إليك..

يا أرض الولاء والفداء

ويا منبع الشهادة والشهداء

ويا وطن الجود والندى .

إلى شباب المستقبل في العراق

المقدمة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

للعراق مكانة إقليمية ودولية على كافة المستويات والمجالات تاريخيا وسياسيا وفكريا واقتصاديا وغيرها من المزايا التي قد لا يحظى بها بلد آخر حيث عرف العراق والعراقيون على مرّ التأريخ بالحضارة والأصالة منذ القدم ولا ننسى أن نبيّ الله نوحا عليه السلام حينما ركب السفينة ومعه المجموعة التي أنجاها الله بعد الطوفان استقرّت سفينته في الجودي وهو جبل في العراق كما نصّ عليه أكثر المؤرخين والمفسّرين وبدأ التناسل البشري من جديد بعد هلاك البشرية عبر هؤلاء ومن العراق.

كذلك نجد أن العراق موطن رائد التوحيد والأب الثاني للأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام وهو النبي الذي يكنّ له جميع معتنقي الديانات السماوية كامل الاحترام ويرتبطون بحنيفيته السمحة.

---

١ . البحث ألقي في ندوة أقامها تجمع الشباب العراقي في دمشق.

كما أن فيه رفات عدد من الأنبياء والأولياء كقبر آدم ونوح وهود وصالح والعزير وذي الكفل ويونس وغيرهم وورد في زيارة الإمام علي عليه السلام: *(السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح وجاريك هود وصالح)* ولما زار الرحالة ابن بطوطة النجف ذكر أنه زار هذه القبور كما ورد في كتاب مرآة الممالك.

وبالإضافة إلى ذلك ضمّت تربته الطاهرة قبور كوكبة من أئمة الهدى وهم أمير المؤمنين علي والحسين بن علي وموسى بن جعفر ومحمد بن علي الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري بالإضافة إلى الكثير من أبناء الأئمة وذراريهم كأبي الفضل العباس ومسلم بن عقيل وزيد بن علي والكثير من الأولياء والصالحين سلام الله ورضوانه عليهم أجمعين.

وتحدّثنا الروايات الكثيرة أن الإمام المهدي عجّل الله فرجه عند ظهوره في مكة المكرمة يتوجه للعراق ليتخذه عاصمة وقاعدة لدولته المرتقبة وبالتحديد تكون الكوفة عاصمة دولته العالمية.

والجدير بالذكر أن أقدم شريعة وقانون وضعي عرفه الإنسان شريعة حمورابي في العراق مما يشير إلى قدم الحضارة العريقة في بلاد الرافدين.

إذن من هذه الإشارات السريعة نكتشف عظمة هذا البلد وأهميته ودوره وموقعه في النفوس حيث نجد أن الإنسان بغض

النظر عن هويته وقوميته يحنّ للعراق وينشدّ له ويتفاعل معه ومن يمتدحه لم يرم بالقومية وكشاهد على ذلك نرى بوضوح كثيرا ممن هاجروا إلى العراق واتخذوه موطنا لهم من كل البلدان العربية والإسلامية المجاورة وغيرها تتوثق الأواصر بينهم وبينه فلا يحنّ لبلده الأصلي ـ الأم ـ كما يحنّ إلى العراق ويعود له إن فارقه مرغما بمجرد أن تسنح له الفرصة.

فالعراق يملك تأريخا عريقا بثقافته وفكره وجامعاته ومعاهده وآثاره وحضارته ورجاله الذين بقيت أسماؤهم خالدة في كافة الميادين الجهادية والفكرية والعلمية والفلسفية وأمثال هذه المفاخر والقيم، وبقي اسمه شامخا رغم ما مرّ به من محن ومصائب ورغم تكالب الطواغيت وحكّام الجور عليه ومن أشدّها قسوة تسلط النظام الصدامي عليه وعلى مدى خمس وثلاثين سنة ثم تهاوى ما بني من فكر دموي على مدى ثلاثة عقود ونصف وما رافق هذه السنين من أنواع الظلم والبطش تهاوى في واحد وعشرين يوما.

ولم نستيقظ على التغيير الذي حصل في العراق ولم نفاجأ به بل عمل المخلصون من أبناء العراق جاهدين على مدى عقود من الزمن على اجتثاث هذا المرض الخبيث من جذوره، وبذلوا كل ما في وسعهم وأرخصوا الغالي والنفيس من أجل ذلك وقدّموا الآلاف من الشهداء وعلى كافة المستويات وتحرّك المجاهدون للعمل على

فضحه كل هذا ساعد على التعجيل بالسقوط فمن الخطأ أن يوعز التغيير لقوات الإحتلال فحسب.

ونحن نعيش هذه الفترة البالغة الحساسية في عراقنا الحبيب وأمام مرحلة مستقبلية تتطلب منا وقفة واحدة تكاتفا وتآزرا من جميع أبنائه الكرام بمختلف القوميات والأديان والأحزاب والتوجهات لنعيد للعراق تاريخه الزاهر ومجده التليد وأبناؤه يتمتعون بالطاقات الكثيرة الكبيرة وهم أولى ببناء هذا البلد الجريح على كافة المستويات لملء الفراغ الحاصل في عدد من الحقول.

والواجب الملقى على عاتق الغيارى من أبناء شعبنا خصوصا الشباب المثقف أن يبذلوا قصارى جهدهم لبناء الوطن بوعي تام وتحليل دقيق لكل ما يجري في الساحة حتى نقف بوجه كافة الاخطار المحدقة بحزم وفهم كاملين لنفشل كل المخططات الرامية لتفتيت روح الإيمان والتآخي والوحدة التي عُرفنا بها ومن هذا المنطلق رأيت المساهمة بهذا الجهد المتواضع ليكون مدخلا لدراسة أكثر شمولية بإذن الله تعالى.

العراق في تركيبته

لا أريد التحدّث عن تاريخ العراق لأن ذلك يخرجني عن طبيعة

البحث، ولأن العراق خاض تجارب عديدة ومرّ بأدوار مختلفة فكان ملكيا حينا وجمهوريا حينا آخر واشتراكيا وأمثال هذه المصطلحات وباختصار أنه كان تاريخيا غير مستقر وكل حقبة تحتاج إلى دراسة معمّقة وتفصيل كثير.

كما لا أتحدث عن جغرافيته لأنني لست بصددها وهي خارجة كدراسة عن اختصاصي بل أحاول أن أخصّص الحديث عن التركيبة الدينية والمذهبية والتوجهية للشعب العراقي لأضع المطالع الكريم في إطار التصور لما أريد أنتهي إليه في بحثي الموجز هذا.

فالعراق ينقسم إلى أصول أو قوميات عدة أهمها من حيث التعداد السكاني العرب ثم الأكراد فالتركمان والآشوريون، ومن ناحية الواقع الديني فالغالبية فيه من المسلمين إذ تبلغ النسبة حوالي ستة وتسعين بالمائة، وهناك أقلّيات دينية غير إسلامية أهمها المسيحية بمذاهبها المختلفة والصابئة واليهود الذين قلّ عددهم جدا في الوقت الحاضر بعد هجرتهم إلى إسرائيل.

أما من الناحية المذهبية فينقسم إلى طائفتين هما وحسب الكثرة العددية الشيعة الاثنا عشرية ثم السنّة الذين هم على المذاهب الأربعة المعروفة الحنفي و الشافعي والحنبلي والمالكي.

والشيعة يشكّلون الأكثرية ولا أستطيع إعطاء رقم دقيق يحدد ذلك لعدم وجود إحصاء علني من قبل النظام فالبطاقة الشخصية

للعراقي لم يدوّن فيها المذهب، وهناك عوامل أخرى يعرفها العراقيون تعود لمصلحة النظام السابق في إخفاء الرقم الحقيقي ورغم هذا فقد ذكرت إحصائيات نذكر أهمها :

أولا ـ الاحصاء السكاني الذي أجرته الإدارة البريطانية عام ١٩١٩م وتكون النسبة فيه كالآتي :

العرب الشيعة	٥٥ %
العرب السنّة	١٩ %
الأكراد السنّة	١٨ %
اليهود والمسيحيون والطوائف الأخرى	٨ %

ثانيا ـ الاحصاء الرسمي الذي أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧م ونشره الاستاذ حنّا بطاطو على الشكل التالي :

الشيعة العرب	٢٣٤٤٠٠٠	٥١/٤ %
السنّة العرب	٩٠٠ ٠٠٠	١٩/٧ %
السنّة الأكراد	٨٤٠٠٠٠	١٨/٤ %
الشيعة الإيرانيون	٥٢٠٠٠	١/٢ %
السنّة التركمان	٥٠٠٠٠	١/١ %
الشيعة التركمان	٤٢٠٠٠	٠/٩ %
الشيعة الأكراد الفيلية	٣٠٠٠٠	٠/٦ %
المسيحيون	١٤٩٠٠٠	٣/١ %

اليهود	١١٧٠٠٠	٢/٦ %
اليزيدية والشبك	٣٣٠٠٠	٠/٨ %
الصابئة	٧٠٠٠	٠/٢ %

وقد بذلت محاولات شتى لتزييف الحقيقة واتهام شيعة العراق أنهم فرس إيرانيون وهناك تيار واسع في المشروع القومي في العراق يسعى منذ ثورة العشرين حتى يومنا هذا إلى سلخ الشيعة من العروبة وإطلاق مقولة أن كل شيعي هو إيراني.

ومع كامل تقديري للأخوة الايرانيين وغيرهم ومع اعترافنا بأن الإسلام لم يفرّق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى أودّ أن أشير إلى حقيقة تاريخية هي أنه لم يختلف أحد من المؤرخين على مكان ظهور التشيع في الجزيرة العربية وبهذا يكون التشيع عربي المولد والنشأة وعدد رواده الأوائل مائة وثلاثون صحابيا تقريبا لم يكن بينهم إلا فارسي واحد وهو سلمان وقبطي واحد هو الصحابي رافع رضوان الله عليهم [١].

كيف ما كان فإن نسبة الشيعة اليوم تقدر بخمس وستين في المائة وأن المطّلع على طبيعة الشعب العراق يجده متآلفا ليس للطائفية بين أبناء شعبه وجود حيث يعيش الشيعي إلى جنب السنّي والمسلم إلى جوار غير المسلم يتعايشون معا ويشارك أحدهم

---

١ . هوية التشيع / للمرحوم الدكتور الشيخ احمد الوائلي ص٣٢.

الآخـر في كـل المناسـبات دون أن تطفـح عـلى السـطح انشـقاقات وخلافات بالرغم لما كانت تسعى إليه بعض الأنظمة المتعاقبة على العراق من بث روح الفرقة والعداء، نعم لا أنكر وجود الخلافات العقائدية والفهم الديني القائم على النصوص الواردة من الكتاب والسنّة ولكن تبقى هذه الأمور اختلافات علمية لا تنعكس لها آثار سلبية.

ولا أريـد التوسـع في هـذا الموضـوع لأنـه يخـرجني عـن طبـيعة البحث الذي يحدده عنوانه "إلى شباب المستقبل" وإنما استطردت فيه ليكون المطالع على معرفة ولو جزئية له.

من ناحية أخرى اختلفت توجهات الشعب العراقي واختياراته وتبنيه للأفكار وكثرت الأحزاب والتيارات والحركات التي قلّما نجد لها نظيرا في الكم لدى شعب آخر فربما نجد عشرة أشخاص يشكلون تجمّعا معينا ويطلقون عليه اسما خاصا ويقوم باعداد قانون ووثيقة له.

غير أن الإنتماء العراقي الأول هو للإسلام لأن طبيعة الفرد المسلم العراقي تكمن في ارتباطه بدينه ويكون المحور له وقد ينصرف عنه لكن سرعان ما يعود الى قاعدته لأنها المركز والمحور وهذا في الأعم الأغلب.

في العراق مثلا الحزبان الشيوعي والبعث وهما حزبان رئيسيان

علمانيان لم يتحول الانتماء اليهما عند أكثر المنتمين إلى عقيدة ومحورية بل الارتباط ربما ناتج عن قناعة كاملة أحيانا وإلا فالمصالح والخوف والهوى والنزوة وعدم التأمل يلعب دورا في ذلك الانتماء .

وهناك أحزاب وتيارات وحركات إسلامية وشخصيات مستقلة مؤثرة بالعشرات ولها دور ونحن نحترم كل من يضع خدمة البلاد والعباد هدفا لتحرّكه ولا أرى ضرورة لذكرها ولا يهمنا التعرّف عليها بقدر ما نعرف أن التوجهات والأفكار لدى الشعب العراقي أيضا مختلفة ومتنوعة وهذا يلعب دورا في حركة طبيعته التركيبية.

العراق والمحنة

تُطرح هنا في هذه الفترة الحساسة عدة أسئلة تحتاج لأجوبة واضحة تجعل الانسان العراقي على بينة من أمره وهي كالتالي:

السؤال الأول ما هو موقف الفرد المسلم تجاه الحكومة، وبعبارة أخرى ما هو موقفنا كمسلمين من اختيار الحكومة؟

وما هو موقفنا تجاه المرجعية الدينية والحركات السياسية وما هو دور الإنسان في سلوكه العام ومع أبناء مجتمعه ؟

أما الإجابة على السؤال الأول فلا شك أن الحكومة ضرورة اجتماعية ملحّة لا يمكن الاستغناء عنها، يقول العلاّمة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله:

إن المجتمع الإنساني حاجة نفسية للكائن البشري فمن البداهة بمكان أن الفرد لا يمكن أن ينعتق من هذه الغريزة ـ غريزة المجتمع ـ مهما حاول الإنعتاق، وإذا وجد المجتمع الإنساني وجدت العلقات الاجتماعية المعقّدة ووجد النشاط الاجتماعي المتعدد الوجوه في شتّى الميادين، وفي هذا الحال لابد من أن يوجد إشراف ما على المجتمع ينظّم علاقاته تنظيما يحول بينه وبين التفكّك بفعل تصادم المصالح بين الأفراد والجماعات، وينظّم النشاط الاجتماعي في ميادينه المختلفة، ويشرّع من القوانين ما يصون به حقوق الأفراد على المجتمع وواجباتهم ونحوه، هذه وضائف الدولة الأساسية ولمّا كان هذا النشاط ضروريا للمجتمع فالدولة لذلك ضرورية[١].

فكل إنسان يتعطّش إلى نظام يؤمّن له سبل العيش واطمئنان الحياة وقد رأينا في الفترة التي أعقبت سقوط النظام شدة الفوضى التي عمّت جميع مدن العراق وهذه ظاهرة غير صحّية لكنها طبيعية تحصل في كل مكان ينعدم فيه القانون والنظام، ومن هذا المنطلق وبما أن العراق مقبل على حقبة جديدة فلابد من بيان وجهة نظر الإسلام في طبيعة الحكم لنحدد بعد ذلك ما يتناسب مع وضعنا الراهن .

---

١ . نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص٣٩.

توجد عندنا في الفقه الإسلامي ثلاث نظريات في الحاكم ونظرية رابعة سائدة في بعض الدول لنرى أي النظريات أوفق بطبيعة الحكم في العراق معرضين عن عدد من النظريات التي لا أرى جدوى ببحثها:

النظرية الأولى: نظرية ولاية الفقيه

القائمة على أساس أن للفقيه ولاية عامة على الأمة، وبعبارة أخرى أن الأمر الصادر من الفقيه في الأمور العامة كالسياسة والاقتصاد بمقتضى تشخيصه للمصالح العامة نافذة على الأمة.

غير أن النظرية هذه لا يمكن تطبيقها في العراق لعدة أمور:

١ـ بغض النظر عن أن ولاية الفقيه في ثبوتها كلام فللعلماء أخذ ورد أن إدارة الأمور العامة تتوقف على التفرّغ لهذا الميدان وفقهاؤنا رغم ذكائهم وكثرة عملهم ونشاطهم متفرّغون لحقل آخر لا يقل أهمية عن حقل السياسة وما يدور في فلكها وهو تحديد الحكم الشرعي والوظيفة العملية لملايين المسلمين في العالم والذب عن الإسلام ومقدساته وعقائده وأفكاره رغم مواكبتهم للأحداث.

وقد شهدت مدرسة النجف علماء نزلوا ميادين الجهاد ودخلوا المعترك السياسي من أوسع أبوابه، وما زرعه بعض المراجع الآخرين من روح المواجهة والتحدي للأنظمة وأحدثوا ثورة فكرية

ودينية في الواقع العراقي والصحوة الثورية والدينية هي من بناة أفكارهم.

كما ولدينا علماء من الرتبة الثانية والثالثة لهم وجودهم السياسي وتطلعّهم المعاصر ومواكبتهم للأحداث بل وقيامهم بأعمال جهادية وسياسية يمكن أن يوفّروا المناخ ولو بالحدّ المتوسط لولاية الفقيه إلا أنهم يصطدمون بالموانع الأخرى التالية.

٢ـ اختلاف القاعدة المذهبية ذات الدلالات المرتبطة بولاية الفقيه بين الشعبين الإيراني والعراقي حيث نسبة الشيعة ـ القائم اعتقادهم على متابعة الفقيه ـ في إيران ٩٨٪ بينما في العراق تقرب من ٦٥٪ فيوجد عندنا شريحة كبيرة لا تؤمن أساسا من ناحية دينية بأطروحة ولاية الفقيه ولم يسلّموا بشرعيتها ولو من حيث المبدأ والنظام الإسلامي إذا افترضنا قام على أساس هذه الولاية سيصطدم بهؤلاء فتتولد حينئذ أزمة وهذا عامل مهم على عدم امكانية قيام حكم إسلامي على غرار ما هو موجود في إيران في العراق .

٣ـ بغض النظر عن النقطة الثانية لم يكن الشارع العراقي مهيئا لقبول هذه الفكرة، نعم أبناؤه مسلمون وروح الحماسة الاسلامية عندهم في أعلى درجاتها والعراق حسب ما أثبتت الأيام يحرص على أن يعتني ويهتم باسلامه حتى عندما يصل الخوف

الشدة والذروة، وقد رأينا أن أقسى وأظلم وأعنف نظام على وجه الأرض هو النظام العفلقي الذي حكم العراق من سنه ١٩٦٨ الى ٢٠٠٣م وهذه الفترة شهدت سخاء العراقيين الاسلامي في كافة المجالات الشهادية والجهادية والحجاب والالتفاف حول العلماء وصلاة الجمعة والجماعة وزيارة المراقد المقدسة وغير ذلك .

إلا أن فكرة ولاية الفقيه لم تتضح بعد نظرا للطبيعة المرحلية التي كنّا نفكر فيها وتتصبّ بالاساس على سقوط النظام أولا وبالذات حتى كان الكثير منا يتمنى أن يكون البديل أي إنسان غير صدام ومن يرتبط به، نعم هناك من يتطلّع خصوصا من الشباب لولاية الفقيه لكن لم تكن أصواتهم تفي بالغرض لو أجري استفتاء على اختيار ولاية الفقيه حسب الرؤية الاستطلاعية البدوية من خلال الاحتكاك بالمجتمع العراقي وما يطفح من أنباء وأخبار وتصريحات.

٤ـ الوضع السياسي والاقليمي للمنطقة بل وحتى الدولي لا يسمح أن تتكرر التجربة الايرانية لدولة أخرى في العالم خصوصا العراق الذي أكثر أبنائه من الشيعة ويحيط به من جانب دول الخليج ذات الطبيعة المذهبية الخاصة، ومن جهة أخرى تركيا الدولة العلمانية، والعراق يعتبر قلب الوطن العربي ولا يمكن أن يتحول الى دولة إسلامية يحكمها نظام ولاية الفقيه وهي محاددة

لإيران فانه بنظر السياسين غير الاسلاميين من المعنيين مشكلة كبرى يجب ألا يفكر فيها أصلا.

النظرية الثانية : وجوب حفظ النظام

تنص هذه النظرية على وجوب حفظ النظام وكل من يتصدى لذلك يجب على الأمة احترام قراراته وقوانينه ليس بالنظر لشخصه وانما لاستلزام ذلك حفظ النظام الذي يستلزم انعدامه حالة من الفوضى والهرج.

تستفاد هذه النظرية من فتاوى بعض الفقهاء كالسيد الخوئي ﷺ حيث يمكن استفادة عدة أمور عما هو منقول عن فتاواه:

الأمر الأول: البناء العقلائي قائم على ضرورة استقرار الحياة بأنواعها الإجتماعية والاقتصادية والسياسية واستتباب الأمن على صعيد الأنفس والأعراض والحقوق.

وهذا الاستقرار يتوقف على عنصرين هما:

١ـ قانون يحفظ للناس ـ بما هم ناس وبشر ـ حقوقهم مع غض النظر عن أديانهم ومللهم ومذاهبهم واختلاف وجهات نظرهم وآرائهم.

٢ـ لابد من وجود هيئة إدارية أمينة وحريصة على المصلحة

العامة قادرة على تطبيق هذا القانون .

الأمر الثاني: لا يتوقف الأمر على الانتخاب وإنما يدور مداره على تحقق حفظ النظام وهو يختلف من زمان لزمان مثلا: في الزمان السابق يعتمد حفظ النظام على هيئة تملك القوة والتي كانت متمثلة بشيوخ العشائر فكان لزاما عليهم أن يتصدوا لذلك .

وفي عصرنا الحاضر يتوقف حفظ النظام على هيئة منتخبة ذات مواصفات خاصة وفق الموازين والوضع الدولي القائم.

فالمطلوب أولا وأساسا حفظ النظام ولا دخل للانتخابات فيه نعم هي طريق لتحققه لأننا قلنا إنه يعتمد على قوة تحققه تارة تتحقق بشيوخ القبائل وأخرى عن طريق الانتخاب وربما تتحقق عن طريق ثالث ورابع وهكذا.

الأمر الثالث: قلنا بأن المسألة قائمة على أساس بناء العقلاء وأن الشارع أمضى هذا البناء وأقرّه ويمكن استفادة ذلك من عدة نصوص ظاهرها أن الإنسان بما هو إنسان من حقه الكرامة وعدم اختلال حياته الفردية والاجتماعية بالاعتداء والإفساد:

١ـ قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[١] والآية أثبتت أن الناس ـ بني آدم ـ أهل للتكريم.

---

١ ـ الاسراء ـ آية ٧٠.

٢ـ قولـه تعالى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١] و مدار الآية الناس كما ذكرنا بما هم ناس بغض النظر عن كونهم مؤمنين أو لا .

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[٢] وظاهرها أن المبغوض تخريب الحياة الاجتماعية وإشاعة الفوضى والدمار للناس جميعا.

وحينما نطل على عهد الامام علي لمالك الأشتر النخعي نجد ذلك بوضوح:

وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سَبُعا ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق[٣].

هذا خلاصة ما استفدناه في هذه النظرية التي تتناسب في مجال التطبيق مع عصرنا عصر الغيبة أما في عصر وجود المعصوم فالحاكمية تكون له ولا مجال لما ذكرنا لأنه الأداة التي تتوفر فيها كافة الشروط وهو الذي يرسم للجماهير كيفية إدارة الأمر.

---

١ . المائدة . آية ٣٢.

٢ . البقرة . آية ٢٠٥.

٣ . نهج البلاغة.

إلا أن النظرية هذه لا تعدو كونها رأيا بمثابة الحل لأزمة حاضرة ولّدها غياب المعصوم وإلا فهي قابلة للنقاش .

والذي ينقدح في الذهن مما يشكل أن القانون الوارد في الأمر الأول لابد من تدوينه على أساس مصلحة الناس بما يحفظ حقوقهم ومصالحهم والمشكلة التي تكمن أنه إذا اصطدم بالدين فماذا نفعل؟ إذ ربما يختار النظام الاشتراكي أو العلماني أو الربوي كل في مجاله فماذا نختار؟

إذا اخترنا ما يتناسب مع الواقع الفعلي المعاش وقع المتدينون في حرج ، وإذا رفضنا ذلك وأخذنا بما يقرّه الدين صار النظام إسلاميا فيختلف الحديث حينئذ عن كلامنا في هذه النظرية.

النظرية الثالثة: نظرية الشورى

والمستند فيها قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[(١)] وتدل على أن النظام المدني ـ في عصر الغيبة طبعا ـ لابد أن يكون شوروياً قائما على أساس يرتكز على ما يلي:

١ـ ينتخب الناس مجموعة من الفقهاء العارفين بأوضاع زمانهم وأحوالهم ومطلعين على شؤون الحياة كما دلّ على ذلك مقبولة عمر بن حنظلة، قال الراوي :

١ . الشورى . آية ٣٨.

سألت أبا عبد الله ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟

قال عليه السلام: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقا ثابتا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يُكفر به قال تعالى "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به"

قلت فكيف يصنعان؟

قال ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ والرادّ علينا الراد على الله وهو على حدّ الشرك بالله، إلى آخر الرواية[1] .

فكلمة "ينظران" الواردة في الرواية فُسّرت بمعنى ينتخبان، وكلمة "عرف أحكامنا" يعني مطّلع ومحيط بجميع الأحكام الشرعية حتى الأحكام المتعلقة بأوضاع الناس وأحوالهم في الأمور السياسية والاقتصادية.

---

١ . الكافي ١/٦٧ ـ الرواية رقم ١٠.

٢ـ وبعد انتخاب الناس للفقهاء يقوم هؤلاء الفقهاء بانتخاب أمرين :

الأمر الأول: الدستور الذي يكون العمل على طبقه في المجالات كافة كما هو الحال في الدول الدستورية.

الأمر الثاني: هيئة إدارية قائمة على أساس الأكثرية أو الأصلحية أو على أي أساس آخر يرآه الفقهاء أولى بالاعتبار.

غير أن الرواية التي أُخذت دليلا على الانتخاب غير تامة الدلالة وذلك لأنها واردة في القضاء فلا نتعدى عن كلمة (حاكم) إلى السلطة العليا في الدولة.

النظرية الرابعة : الديمقراطية

كلمة ديمقراطية في الاصل يونانية مركبة من كلمتين هما "demos " ومعناها الشعب و"kraios " ومعناها الحكم أو الحكومة، والترجمة الحرفية لها تكون إذن (حكم الشعب أو حكومة الشعب).

وتقرر الديمقراطية مبدأ سيادة الشعب بمعنى أنّ له وحده الحق في اختيار الحكومة ومراقبتها والمصادقة على الدستور والأنظمة والقرارات، فهي على نقيض الدكتاتورية تماما وانبثقت كردّ فعل للممارسات التي تعرّضت فيها حقوق الإنسان للهدر

وسُلبت كرامته وعزّته وشخصيته فهي تمثّل حلاً لمشكلة كانت قائمة في كثير من الدول .

وتتلخص مبادئ الديمقراطية بما يلي:

١- سيادة الشعب

بمعنى أنّ له الحق باختيار رئيس الدولة وأعظاء الحكومة ـ مباشرة أو عن طريق الممثّلين ـ والموافقة على النظام الذي يتم تشريعه عن طريق أهل الاختصاص بالقانون ومراقبة الحكومة في مدى قيامها بواجبها وتطبيق القوانين بصورة طبيعية.

٢- العدالة في توزيع الثروات

٣- المساواة أمام القانون

٤- الحرية في التعبير والفكر وممارسة الشعائر والطقوس

وهذه المبادئ قد تلتقي مع الإسلام في أكثر من حقل مع بعض التعديلات في الحقول الأخرى حيث أكد الإسلام على المساواة أمام القانون وهذا الإمام علي بن أبي طالب يقف أمام القضاء مع خصم يهودي وكان القاضي عمر بن الخطاب ـ أيام خلافته ـ فلما دخلا للتقاضي كنّى عمر أمير المؤمنين فانزعج الإمام فقال له عمر مم تأثرت ألأن خصمك يهودي؟

فقال الإمام كلا وإنما تأثرت لأنك كنّيتني وخاطبت خصمي باسمه فلم تعدل بيننا.

إنها منتهى الدقة في المساواة أمام القضاء حيث على القاضي أن يوحّد بين المتخاصمين حتى بالنظرة والتحية وأمثال ذلك والإمام اعترض على القاضي لأنه ميّزه بشئ من الاحترام على خصمه اليهودي.

على ضوء ما تقدم عرفنا أن لا مجال لولاية الفقيه في مسار الحكم في العراق فيدور الأمر بين نظرية الديمقراطية والشورى ونظرية وجوب حفظ النظام المتمثلة في أي شخص ذي مواصفات معينة يتولى زمام الأمور شريطة أن يوفّر للمجتمع أمنه وأمانه ومتطلبات حياته ويحترم الإسلام مبدأ وعقيدة ويحقق للفرد كرامته وعزته.

أمنيتي أنا كما هي أمنية كل مسلم أن يسود الإسلام بنظامه الدقيق الرباني لأن المطلوب من المسلمين إقامة حكومة الله في الأرض فإن لم يقدروا فليبادروا إلى إقامة حكومة الإنسان التي تصبّ اهتمامها على احترام إنسانية المواطن، غير أننا نرى بوضوح أن الظروف الحالية لا تسمح بإقامة الحكومة الإسلامية فيتحتم علينا غير ذلك ولو فكرنا في البديل وكان لي خيار لاخترت نظرية الديمقراطية، وما تقرره صناديق الاقتراع وفق الاستفتاء الشعبي العام ومع شئ من التعديل، وهي رغم اختلافها عن الاسلام في ما تختزنه حيث أن شرعية القرارات تنطلق من تصويت الأكثرية عليه

لكنها نجحت كتجربة للحكم في عدد من الدول الديمقراطية مما جعـل أنصـارها كـثيرين فهـي الـنموذج الأمـثل للدولـة العصـرية وتسـتطيع آليـتها حـلّ أغلـب مشـاكل الشـعب العـراقي ولـيس فـيها احتكار للحكم لأي فئة دون أخرى أو طائفة أو قومية دون غيرها بـل الكل متسـاوون في الحقـوق والواجـبات، يقـول العلاّمـة الدكـتور السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله:

ولا أعـتقد أن في الإسـلام أو في العـروبة مـا يمـنع مـن الديمقراطية ـ باعتبارها أسلوبا ووسيلة للسلطة ـ من أن تكون هـي (الحَكَم) بين الفصائل المتصارعة للوصول إليها بل أعتقد أنها في بلد كالعراق عانى ما عانى من تسلط بعض الفئات هـي النظام الوحيد الذي يكفل لأفراده وفئاته وأحزابه العيش المشترك بحرية واطمئنان[١] .

خلاصة القول أكرر أن الديمقراطية ليست بديلا عن الإسلام وإنما هـي حلّ لأزمة قائمة، وليست هي دعوة للعلمانية أبدا إذ لا مجال لها لأن الناس مؤمنون ولا يمكن فصلهم عن جذورهم وأيا كانت التسمية نحـن نطالب بحكومة ذات مواصفات محـددّة إن توفرت قبلناها واحترمناها وإلا سيكون لنا موقف آخر .

١ . الديوان ص٩٤.

أما الصفات فهي:

١ـ لابد أن تكون منتخبة انتخابا نـزيها على الطريقة المعروفة في الـدول المتحضّـرة أي بواسطة صناديق الاقتراع ويتولاها أنـاس نـزيهون وأن يحـدد الشعب العـراقي مصيره بنفسه دون أن يكون للأجنبي أي ضغوط في هذا الصدد وأن لا يرتكبوا ما يخالف نتائج الاقتراع نظير ما حدث في تركيا من إقصاء للإسلامين حيث رُفض أربكان رغم انتخابه وهذا مخالف للديمقراطية هناك.

٢ـ أن يكون دين الدولة الرسمي الإسلام وعلى الحكومة احترام القيم الإسلامية وأن لا تحوّلـه إلى شعار ترفعه لأن أغلبية الشعب مسلم بعيدا عن الواقع الخارجي، فعلى الشعب الغيور التصدي بحزم لكل مظاهر الفساد التي يراها علماؤه مخالفة لتعاليم الدين الحنيف وأن يأخذ الدستور والقوانين الدين والشريعة الإسلامية بنظر الاعتبار فيما يسنّ ويشرّع ويقنّن.

٣ـ عدم استعمال المراوغة من قبل الحكومة واللف والدوران تجاه الشعب الذي كفاه معاناة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن بل على الحكومة أن تحترم حقوقه وإرادته وتسعى لتحقيق أمانيه ورفع مستواه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، فالعراق بلد غني فعلى الدولة أن لا تبدد خيراته وثرواته وطاقاته بل تسعى لتنميتها وأن تسمح للشعب بممارسة طقوسه وشعائره والتعبير عن رأيه من خلال المظاهرات السلمية والكتابات الهادفة ونحو ذلك.

٤- التمتع بالسيادة والاستقلال وأن تبني هذه الحكومة علاقاتها مـع العـالم علـى أسـاس احـترام حـق السـيادة والـتفاهم والعلنـية الواضحة وعدم توثيق العلاقات مع المحاربين للإسلام ومن يريدون الوقيعة بالمسلمين ممن لا يرون للانسانية معنى كإسرائيل.

٥- أن لا تتبع الحكومـة - الـتي تشـكّل الـوزراء ومـن دونهـم في المرتبة - السطحية في الحكم والإدارة من منطلق القربى والعلاقة والحزبية وما شابه بل ينبغي ملاحظة الكفاءة بالدرجة الأساس واستثمار الفرصة.

فإذا كان الأمر كذلك علينا جميعا أن نكون يدا واحدة في البناء والاعمار وخدمة الوطن والسعي من أجل رقيّه وتقدّمه.

وأودّ أن أشير إلى أن الانتخاب يتم على ضوء ما تقررّه صناديق الاقتراع أي حسب الأكثرية فلا ينبغي للأقلّية إذا لم يحالفهم الحظ أن يتخذوا موقفا معارضا بعيدا عن روح الديمقراطية التي لجأنا إليها كحلّ للأزمة في زمن الغَيبة.

موقف المسلم تجاه المرجعية

نحن الشيعة وبحكم ارتباطنا الوثيق بالأئمة المعصومين عليهم السلام وهم أرجعونا بدورهم إلى العلماء الذين نعتوهم بأوصاف معينة هي كما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

(فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه)[١].

فالفقيه في زماننا عبارة عن نائب الامام فلابد أن يكون فقيها عادلا جامعا للشرائط التي تمكّنه من أن يقوم مقام الامام عليه السلام في تبليغ أحكام الدين وإدارة شؤون المسلمين وحفظ بيضة الاسلام وهذا الحديث ذكر أربع صفات نفسيّة لابد أن تتوفر في الفقيه وهي:

١- **صائنا لنفسه:** وصون النفس حفظها من أي عيب.

٢- **حافظا لدينه:** لا يحيد عنه ولا يبتعد بل يجسّد الإسلام ومعانيه في جميع تصرّفاته كما هي الحال في الإمام المعصوم الذي لم يفكّر في مخالفة قط فضلا عن أن يقع فيها.

٣- **مخالفا لهواه:** والهوى ميل النفس إلى الشهوة وهو يُسقط الإنسان في الهاوية ويؤدي به إلى الحيرة والضلال، وورد النهي عن اتّباع في عدد من الآيات القرانية ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢] وبقدر اتباع الهوى يخرج الإنسان عن حدود الشريعة

---

١ . الاحتجاج للطبرسي . وسائل الشيعة ١٨/٩٤ حديث ٢ باب ١٠ من أبواب صفات القاضي.

٢ . سورة ص . آية ٢٦.

المقدّسة والدين الحنيف.

٤ـ **مطيعا لأمر مولاه:** اطاعة كاملة واستسلام تام لأوامر المولى تعالى بحيث يكون قدوة في كل التزاماته وتعهداته مع الله تعالى.

هـذه الأمـور الأربعـة تابعـة لـنفس الفقـيه في دورتـه التكامليـة الأخلاقية التربوية بغض النظر عن سعة علمه وضبطه ونحو ذلك مما هو أمر مشروط أيضا ومفروغ منه حسب الفرض.

إذن الفقـيه لابـد أن يـراعي الاجـتهاد والـورع والعفّـة والسـداد ليقترب أكثر فأكثر لصفات المعصوم وهو أمر ليس مستحيلا ليكون القدوة في زمن الغيبة ويحفظ الأمانة ومن خلال تأريخ المرجعية عند الشيعة نجد أن المراجع الكرام اتصفوا بهذه الصفات المقدّسة وكانوا النموذج المصداقي لها.

والفقيه المعبّر عنه في زماننا بالمرجع لابد أن يقوم بدوره في مجالين:

الأول: الإفتاء بعد استنباط الحكم الشرعي من أدلته، وثانيا: قـيادة الأمـة في المجـال الـثقافي والفكـري والـتربوي والاجـتماعي ومتابعة أوضاع المسلمين كافة وهذه الأمور وظيفة الإمام المعصوم مـع فـارق أن الحكـم الشـرعي الصـادر عـنه واقعـي والصـادر مـن الفقيه ظاهري.

ويتولى كما ذكرنا قيادة الأمة وقد يمرّ ـ حسب الزمان والمكان

ـ بفترات حرجة يُراعى فيها مبدأ التقية أحيانا على أن لا يكون سلوكا ومنهجا في العمل في كل الأحوال بل تقدّر بقدرها وهم أعرف بأحوالهم.

وفي ظرفنا الحساس حيث يمرّ العراق بأصعب فترة وأحرجها لابد أن يكون للمرجعية دور وكلمة تقولها ومتابعة ومواصلة مع هذا البلد الجريح وأهله المظلومين لتشتد الأواصر بين الطرفين ولأن المسلم الشيعي لا يمكن أن يتخطّى مرجعه في مقابل العمل وحينما لم يجد توجيها واهتماما ـ لا سامح الله ـ ربما يخرج عن حدود المراجعة والمتابعة فيؤدي هذا النوع من السلوك إلى حالة من التمرّد في مقام العمل ويكون فرديا اجتهاديا تعدديا بتعدد الأفراد والجماعات ويدخلنا حينئذ في مطبّات لا يُكتفى أن نقول نحن في غنى عنها بل قد تؤدي بنا إلى تبعثر أجزاء جسد الأمة الواحدة.

وكشهادة على الأمر الواقع نجد أن علماءنا الأعلام ومراجعنا الكرام يؤدون دورهم ووظيفتهم بأحسن أداء واحتياط تام ومراعاة للضوابط الدينية من دون أي مساومة أو تنازل عن ثوابتنا المقدسة ونشاهد المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني دام ظلّه يقف صمام أمان للاسلام ومقررات الشعب العراقي في هذه المرحلة ونأمل ـ من منطلق الطمع في كرم الكريم ـ أن تأخذ المرجعية بيد الحوزة العلمية العريقة في النجف الأشرف إلى حيث الرقي

والازدهار وأن يعاد لها مجدها وأهميتها لتكون بأعلى درجات العطاء كما كانت في عهودها السابقة ونأمل منها أن تبثّ الوكلاء من العلماء الواعين في جميع أنحاء العراق والاهتمام برعاية المثقّفين والجامعيين ومدّ الجسور بينهم وبين الحوزة العلمية لتلاقح الأفكار.

ويخطر في النفس المقترحات التالية والتي استلهمتها من وحي التفكير السائد في الحوزة العلمية بالدرجة الأولى في هذا الظرف وأحسب أنها تدور في ذهن المتصدّين لهذه المهمة الشريفة:

١ـ كانت المرجعية ولا تزال الراعية للحوزات العلمية ونأمل منها مزيدا من الاهتمام للحوزات في العراق خصوصا حوزة النجف الأشرف التي يفتخر المسلمون بأنها خرّجت فطاحل العلماء في مختلف الميادين وأثبتوا وجودهم في كل المحافل الدولية.

٢ـ الاهتمام بالشرائح التي يلحظ فيها القابليات والإمكانيات العلمية وتوفير الأجواء المناسبة لهم حتى يتمكّنوا من تنمية هذه القابليات.

٣ـ تهيئة مجموعة من العلماء المعروفين بالجدّية والتديّن وحسن الإدارة وبثهم كممثلين للمرجعية في كافة أنحاء المدن العراقية ليقوموا بدورهم في نشر الوعي والثقافة وبيان الأحكام والالتزامات الشرعية .

٤ـ أن تكون هناك مؤسسات تابعة للمرجعية تولي اهتماما بتنمية الحالة الفكرية الدينية والعقائدية والثقافية من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات والمحافل والتشجيع على الكتابة والتأليف.

٥ـ مواجهة الفتن والاضطرابات التي تحاول زعزعة الكيان الديني عند الفرد والأمة والتصدّي بحزم لكل الشبهات التي تحاول النيل من ديننا العظيم، وشكل المواجهة المطلوبة يحدده المتصدّي لذلك حسب الظرف والأجواء والملابسات والامكانيات.

٦ـ فتح حوزات علمية في محافظات العراق مهمتها إعداد الطلبة واختيار ذوي الكفاءات ومن تلمس فيه القابلية منهم وإرساله إلى الحوزة العلمية الأم للدراسة المكثفة.

٧ . يشكّل خطباء المنبر الحسيني شريحة واسعة في الكيان الحوزوي لهم وجودهم وتأثيرهم في المجتمع والاهتمام بهم ورعايتهم وتوجيههم ليكونوا لسان الحق الناطق بالصدق والوسيلة الاعلاميةالمهمة لهداية الأمة له أكبر الأثر في المسيرة الإسلامية.

وهذه المسؤوليات تقوم بها المرجعية لكل أبناء الطائفة غير أنني حددت العراق بالذات نظرا للظرف الحساس الذي يمر به كما ذكرت سابقاً، كذلك يأمل أبناء السنّة من علمائهم القيام بدورهم الفعّال من أجل تدارك الضياع الذي ولّدته الحقبة الزمنية الفاسدة السابقة .

وموقف المسلم من مرجعيته يتطلب الطاعة والمتابعة والتواصل وعدم التطاول ولو بكلمة واحدة ويمكن تحديد ذلك بما يلي:

١- يفتي علماؤنا ومراجعنا الكرام بلزوم المحافظة على النظام وعدم إشاعة الفوضى التي قد تؤدي إلى انعدام الأمن والإرباك على كل المستويات فعلى المسلمين الالتزام بهذا الأمر، نعم في حالة قد يرى المرجع فيها رفض الطاعة والانقياد وراء قانون ما لسبب معتبر من الأسباب فالكلمة حينئذ للمرجعية ويجب اتّباعها وعدم جواز مخالفتها.

٢- من يرى فيه القابلية والطاقة والذكاء لحمل العلم الإلهي فعليه المبادرة للحوزة العلمية والانضمام إليها ومتابعة دروسها ليساهم في تلك الحركة العلمية في العراق.

٣- التعاون التام مع وكلاء المراجع الكرام بجدية وإخلاص والحضور الكامل معهم والإشادة بالإيجابيات والتنبيه الواعي البناء في السلبيات باختيار أفضل الطرق حفاظا على الروح الأخوية التي يجب أن تسود.

٤- أن ننطلق في تعاملنا مع المراجع أيدهم الله من منطلق الشريعة الإسلامية والقيود والصفات التي وضعتها لهم بعيدا عن منطلق العاطفة التي قد تجعل البعض في منأى عن اتباع من اتفق على اتباعه بحجة انه يمثّل الخط الكلاسيكي أو لا يلبّي الطموح

المعيّن أو لأنه قد تعامل مع قضية من القضايا بطريقة لا تعجبه فعلى هذه الشريحة من الأخوة الأعزاء تحكيم التوصيات القرآنية وما ورد عن المعصومين عليهم السلام بعيدا عن الميل الشخصي الخاص.

بقي عليّ أن أنّبه على شئ أرى من الظرورة التنبيه عليه هو:

أن الإنسان الذي يريد الازدهار والتقدّم والرقي له ولمجتمعه ولأمّته عليه أن يسعى لذلك:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فمن الواجب علينا في هذا الظرف العصيب الذي يمرّ بنا أن نكون فيه أقوى وأشدّ لحمة من أي وقت مضى لنعيد للجسد المدمّى حياته وعزّته وروحه فلابد من أن تتآزر القلوب قبل الأيدي مع تجاوز كل الاعتبارات التي يمكن تجاوزها من أجل مصلحة عليا لنعيش وتعيش أجيالنا وأبناؤنا على مائدة الأخوة والتحابب وحبّ القانون وخدمة الآخرين لننهض جميعا بمستوى المسؤولية منطلقين من أقوال ونصائح سيد الرسل محمد صلّى الله عليه وآله الذي يوصي الراعي والرعية فيقول ***(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)*** ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام ***(اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)***[1].

---

١ . نهج البلاغة . خطبة ١٦٧.

ومن الطبيعي أن يوجد هنا وهناك اختلاف في وجهات النظر وآليات العمل نظرا لاختلاف الأذواق والتوجهات وتعدد الانتماءات لكن المطلوب والمؤمّل أن لا يفُسد هذا الاختلاف للودّ قضية وليكن أمـام أعينـنا هـدف واحـد الكـل يسـعى لـه بعـيدا عـن أي تشـنّج وكراهية إلا على من يريد تفرقتنا وتعكير صفونا وإضعاف قوّتنا .

نسـأل الله تعـالى أن يوفـق العـاملين لخدمـة المـبادئ والأهـداف النبـيلة ويـأخذ بـأيدي الجمـيع إلى شـاطئ الأمـن والأمـان والـرقي والازدهار .

التقريب بين المذاهب
توضيح ومعالجة

المقدمة [1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

في بداية الحديث أقدم جزيل شكري لمملكة البحرين الداعية لعقد هذا المؤتمر المبارك سائلاً المولى جلّ وعلا أن يأخذ بأيدينا جميعاً لإعلاء كلمة الحق ويحقق أمنيات المسلمين ويوفقنا لإنجاز المزيد من العمل الهادف في طريق خدمة الإسلام والمسلمين.

المدخل:

لم تكن فكرة التقريب بين المذاهب وليدة العصر الحديث وإنما هي أمنية تسري مع الزمن وللمسلمين جميعاً الرغبة الملحّة في الرجوع إلى تلك الأيام الخالية من التضارب والتهاتر واجتماع الكلمة والعمل من أجل الإسلام الذي أنزل على النبي الأكرم ﷺ وفي بداية بحثنا نسجّل الملاحظات التالية:

---

١ . ألقي البحث في مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية المنعقد في مملكة البحرين سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

الملاحظة الأولى: نتساءل هل أن المراد بالمذهب ـ أيّا كان ـ الإسلام الذي نزل به جبرئيل على النبي الخاتم أو غيره؟

إذا قيل هو الإسلام المنزل على النبي ﷺ فنقول إنه واحد لا يتعدد وبذلك صرّح القرآن الكريم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] ومن المستحيل أن يأتي الرسول ﷺ بإسلامين أو ثلاثة أو أربعة متفقة في شيء ومختلفة في آخر بل الإسلام واحد وهذا ما نراه من خلال تصريحاته ﷺ كقوله: «*صلّوا كما رأيتموني أصلّي*»، وقد صلى صلاة واحدة من أول يوم وجبت عليه إلى أن فارق الدنيا.

وإن قيل غيره، أي أن المذهب غير الإسلام ومعنى ذلك إننا متفقون على إسلام منزل واحد إنما اختلفنا في الفهم والمصداق والتمثيل الخارجي وكل هذا حصل في عصر ما بعد الرسول ﷺ.

إذن النتيجة أننا اقتربنا في أول خطوة على الطريق وهو أن الإسلام والحمد لله واحد والمذهبية ترتبط في آلية مفرداته تشخيصاً وتأويلاً وتفسيراً وما شابه وكل هذا يمكن أن نقترب فيه أكثر فأكثر حينما نتدارس الأمر بصورة جيدة وجدّية.

والتقريب بين المذاهب يبعدنا عن التمذهب السلبي القائم على التناحر الذي هو بحقيقته غير ديني ويقرّبنا إلى التمذّهب

١ ـ الحشر ـ آية ٧.

الإيجابي الذي هو نشاط فكري وعلمي ومدارسة واقعية قائمة على أساس ديني ويقرّبنا بالنتيجة إلى الإسلام الواحد الذي اتفقنا عليه.

إذن هو اقتراب أكثر من الإسلام الموحّد بتحديد نقاط التباعد ومن ثمّ مدارستها، والتغلب عليها وإلغاؤها ويبقى المالكي مالكياً والحنبلي حنبليّاً والإمامي إماميّاً وهكذا لأنه ليس المهم هو التسمية إنما الواقع الخارجي.

الملاحظة الثانية: ومن أجل أن لا ننظر إلى عملية لتقرب بعين التهويل والتعظيم وعدم الإمكان نلفت الأنظار إلى أن المسائل التي تنطوي تحت لواء الإسلام مهما بلغت لم نختلف فيها كلها بل هنالك مسائل كثيرة هي ثوابت اتفق عليها المسلمون ولا يمكن الاختلاف فيها وعدد آخر تتحد وتتفق الآراء فيها اجتهاداً والباقي نسبة قليلة لا تشكّل عائقاً كبيراً رغم حساسية بعضها إلا أنه بالإمكان التغلّب عليها تماماً ولم يكن أمراً مستحيلاً.

الملاحظة الثالثة: إن التقارب الذي نسعى لتحقيقه ليس بين السنّة والشيعة ويخطأ من يذهب إلى هذا الرأي إنما التقارب المفترض تحققه على عدة جبهات بين الشافعية والشيعة والحنابلة والمالكية والأحناف وهكذا أي في المجموع وليس من طرف دون آخر

إذ التاريخ بين أيدينا يذكر كيف تطوّر الخلاف في الفروع إلى احتدام سياسي بين الشافعية والأحناف في أصفهان عندما دخل هولاكو وقتل عدداً من الأبرياء ولمزيد من المعلومات راجع الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٣٢٣هـ تحت عنوان فتنة الحنابلة ببغداد، وهكذا في الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وهو من كبار علماء الشافعية تجده يحمل على الإمام أبي حنيفة حملة عنيفة، إلى غير ذلك من الشواهد الأخرى.

إن أطروحة كل مذهب تدعو إلى التقارب لأنه دعوة الأنبياء وأمنية رسالات السماء وهتاف القرآن والسنّة فهل يمكن أن نعرف أين تكمن المشكلة التي تحول دون حصوله منذ زمن بعيد؟

والجواب يتضح من خلال النقاط التالية:

١ - لم تؤخذ الدعوة إلى التقريب بعين الجدّية ولم يمارس ضغط تعبوي داخلي للتغلب على المشكلة، ومن ثم تمييعها وتضييق هوتها، وبقيت شعاراً لطيفاً يرفع دون واقع عملي وإن وجد فدون حجم المشكلة بكثير.

٢ - روح التعصب التي يتعامل بها بعضهم مع البعض الآخر مما يؤدي إلى الإصرار المسبق على الرأي ومن ثم لا ينفع الحوار قطعاً ويؤدي إلى ما لا يحمد عقباه مع أن الإسلام شدد على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ ـ الموروث القديم الذي أصبحت له قدسية خاصة بحيث لا يمكن المناقشة فيه مما يغلق الباب في بداية الطريق عن الولوج في بعض القضايا مثل قداسة أبي هريرة وصحيح البخاري عند السنّة وقداسة زرارة والكافي عند الشيعة دون إلقاء نظرة أخيرة على الاثنين ثم الوصول إلى نفس النتيجة الموروثة أو المغايرة لها وبذلك تتم الحجة.

٤ ـ هناك نقطة مهمة هي أننا ندرك أن أمامنا أمرين أحدهما فعل خارجي جوارحي وآخر قلبي ويمكن التمثيل لكل منهما فالأول كالوضوء والثاني الخلافة، أما الوضوء فقد أدى فهم النص الوارد لدى جماعة إلى غسل القدمين وعند آخرين إلى مسحهما فكان الوضوء في ظاهره مدعاة للاختلاف الذي يتكرر يومياً وهو فعل خارجي يُلحظ ويُشاهد ويعرف الاختلاف كل من ينظر إليه وهو تكليف شرعي مستمر مع الإنسان عملاً حتى يخرج من الدنيا، أما الخلافة فإننا نتنازع هل أن الإمام علياً سلام الله عليه خليفة شرعي أول أو يحق لأبي بكر أن يكون كذلك.

نحن نناقش لماذا تقدّم هذا على ذاك رغم مرور أكثر من ألف سنة وقد حكم أبو بكر وعمرو وعثمان وعلي ولا نجعل النقاش قائماً على أساس الأحقية الثابتة بالنص الصريح الصحيح ليتبين لنا الواقع الذي يجب بناء العقيدة عليه مما يسّهل علينا معرفة

الفروع الصحيحة وفق التبنّي العقائدي المدروس، وهذا العمل القلبي صار مدعاة للفرقة والتناحر والتسابب وجرّ إلى أمور كبرت شيئاً فشيئاً وأثّرت سلباً على ديمومة الوحدة الإسلامية وكان الأجدر بذل الجهد للوصول إلى الحقيقة وهذا مفردة مهمة في جدول التقريب بين المذاهب.

علماً أن كل ما يتفرع من أمور خارجية وتكليف سماوي كما قلت يتبع في ممارسته لذلك الأمر العقائدي فمن يعتقد بصحة مذهب ما بطبيعة الحال يعمل طبق فتاواه فالمهم إذن تصحيح المسار لردم هوّة الخلاف.

التقريب في النصوص:

التقريب سبيل إلى الوحدة وقد حظيت الوحدة بدعم النصوص على مستوى قرآن وسنّة حيث أشار الكتاب إلى كليّات الوحدة، والإتفاق مؤكداً عليها ومحذّراً من عواقبها ويمكن أن يكون التقريب الذي نحن بصدده أحد مصاديق دعوة الكتاب العزيز.

فقد ذمّ القرآن الكريم الاختلاف وحبّذ الوحدة التي تقوم على أساس الفطرة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه في الإنسان لكنه يبتعد عنها بفعل مؤثرات كالهوى والجهل والطغيان والتعصب وهكذا.

وحينما يضعنا القرآن بهذه الصورة يريد تأكيد مفهوم التقريب والوحدة وعدم التباعد، ولنستعرض من الكتاب العزيز بعض آياته الكريمة:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣].

إذن الاعتصام والاتحاد هو الأساس في نظر القرآن الكريم.

ونجده دائماً يستعمل تعابير مذكّرة لبني آدم بوحدتهم الشخصية والنوعية لتكون مدعاة لنبذ الفرقة والاختلاف كقوله تعالى:

٤ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٤].

وفي بعض آياته يجعل أحد مساوئ الطغاة كونهم يسعون للفرقة بين الناس كقوله تعالى مستعرضاً أسلوب طغيان فرعون:

---

١ ـ يونس: آية ١٩.
٢ ـ آل عمران: آية ١٠٣.
٣ ـ الأنفال: آية ٦٤.
٤ ـ النساء: آية ١.

٥ - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[١] .

وأعطى النبي ﷺ والأئمة التقريب والاتحاد أولوية كبرى قولاً وعملاً وهو القائل: ((*من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام، قيل يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحق وإن قلّوا*))[٢] .

وأول خطوة اتخذها عند دخوله المدينة بناء المسجد ليكون كهفاً لأهم مظهر إسلامي يعبّر عن التلاحم والاجتماع واتخاذ القرارات الموحّدة ثم طرحه مفهوم التآخي بين المسلمين وهو تعبير رائع عن سلوك هذا النهج الوحدوي.

وهكذا نجد تعامل أهل البيت عليهم السلام منطلقاً من نفس الرؤية القرآنية والنبوية فالإمام علي عليه السلام واجه مشكلة الخلافة بعد غياب الرسول ﷺ وهي أول مشكلة حقيقية واجهت المسلمين ويعتبر الإمام قطب رحى الخلافة من خلال الأدلة الكثيرة ولكن أُبعد عنها على مدى خمس وعشرين سنة وكانت تجربة صعبة يتحدد الموقف فيها بواحد من النقاط التالية:

١ - الابتعاد عن الساحة والوقوف موقفاً سلبياً ممن تقدّمه واحصاء النقاط السلبية في تجربتهم بالخلافة.

---

١ . القصص . آية ٤.

٢ . بحار الأنوار: ٢٧ / ٦٧ كتاب الإمامة.

٢ ـ التخطيط لقلب نظام الحكم من خلال المواجهة وإثارة المشاكل في الساحة الإسلامية.

٣ ـ الموقف الإيجابي ومراعاة الأهم والمهم وتقديم المصلحة العامة الأهم.

نجد أن الإمام اختار الأخير أي مسألة الإسلام في وجوده ووحدته وقوته ومواجهته الأعداء ورأى أن مصلحة الإسلام بحفظه ووحدته أهم من كل مصلحة.

قال عليه السلام:

(أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم مُنحّوه عني من بعده فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه)[1].

---

١ ـ نهج البلاغة / الكتاب ٦٢ إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاّه إمرتها.

ويحدّثنا التأريخ أن أبا سفيان تخلّف عن بيعة أبي بكر وطفق يجول في أزقّة المدينة يحرّض الناس عليه وهو يقول: ما بال هذا الأمر في أقلّ حي من قريش، ثم جاء للإمام علي وقال له: ابسط يديك أبايعك فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجلا، فأبى الإمام وزجره قائلاً:

والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك طالما بغيت للإسلام شرّا لا حاجة لنا في نصحك[1].

وبإمكان الإمام أن يستغلّه لا سيما وأنّ أبا سفيان يحسب له حساب في مثل هذه القضايا ويأبى الإمام عليه السلام ذلك لأنه يرى أن هذا العمل على حساب الإسلام.

وكان الإمام يهتم بحل المشاكل الفكرية والمسائل الفقهية المعقدة ويعطي الرأي في الطريقة الأفضل بالحرب بعيداً عن الحساسية الذاتية.

وهكذا نجد سائر الأئمة على هذا الأسلوب والمنهج يدعون لحفظ تماسك المجتمع الإسلامي وقوته فالإمام زين العابدين كان يدعو لوحدة المجتمع حتى مع بني أمية مع عدم الإغماض عن جرائمهم وأفعالهم ويدعو خاشعاً لجيوش المسلمين بالنصر رغم الرزية التي لم تُصب أحداً مثله والمأساة التي عاناها منهم.

---

١ ـ الغدير ـ للشيخ الأميني ج٣.

هل التقريب مكسب شيعي:

إننا نحن الشيعة مع المذهبية في نشاطها العلمي والاجتهادي وليس معها في الحالة النفسية لبعض أبنائها المؤثرة على السلوك من جراء الاختلاف مما يدع المجال للمغرضين والخائفين من راية الإسلام أن يلعبوا لعبتهم.

وتمثّل وحدة الأمة الإسلامية إحدى الركائز الكبرى في خطة أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد بذلوا من أجلها الكثير ووجهوا شيعتهم على هذا المنحى وعظّموا من شأنها وحذروا من الإخلال بها كما اتضح جلياً بما قدّمنا من نماذج فيما سبق، ونعود لما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

((إياكم أن تعملوا عملاً نُعيّر به فإن ولد السوء يُعيّر والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زينا، ولا تكونوا عليه شيناً، صلوا في عشائرهم وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير، فأنتم أولى به منهم والله ما عبدالله بشيء أحب إليه من الخباء، قلت ـ الراوي ـ وما الخباء؟ قال التقية))[١].

والتقية هي التقريب والوحدة بعينها لا كما أسيء فهمها.

وقال علي عليه السلام: **ثلاث موبقات، نكث الصفقة وترك السنّة وفراق الجماعة**[٢].

---

١ ـ وسائل الشيعة: ١١ / ٤٦٠ أبواب الأمر والنهي، باب ٢٤ / ح٣ ـ ١١ / ٤٧.

٢ ـ مسائل علي بن جعفر ص: ٣٤٥ ح٨٥٠.

وأكرر أن من الخطأ الاعتقاد أن التقارب هو سنّي شيعي إذ أن المذاهب الأخرى بوضع لا تحسد عليه والخلاف كما هو قائم بين السنّة والشيعة نجده فيما بين المذاهب السنّية كذلك ـ كما أسلفنا ـ إذن لماذا يعزى الخلاف الكثير للسنّة والشيعة وتنصبّ عملية التقارب عليهما؟

يمكن أن نحدد الجواب في النقاط التالية:

١ ـ إن جوهر الخلاف بين السنّة والشيعة أعمق وفي بعض النقاط الحساسة جداً كالإمامة والعصمة وأمثالهما ولهما درجة كبرى من القدسية عندنا وتعتبر أمثال هذه الأمور أصلاً مسلماً تبتني عليه كثير من المواقف والمسائل ـ كما بينا ـ بينما المذاهب السنّية الأخرى تكاد تتفق فيما بينها على وجهة نظر في هذه المسائل للشيعة فيها رأي آخر.

٢ ـ إن للشيعة موقفاً دينياً سياسياً خاصاً تجاه السلطات القائمة فهم يرفضون كل حاكم مستبد مسلّط بلا شرعية ويعتبرونه جائراً والأحكام التي تصدر منه تعتبر غير شرعية ومرفوضة تماماً ولا يمكن التعاون معه حال ظلمه والعمل معه ودعمه، وقد ردع الأئمة عليهم السلام المسلمين عامة عن التعاون مع ولاة الجور ومعاونتهم والعمل في سلطانهم بأي حال من الأحوال إلا في حدود حفظ النظام العام على تفصيل فيه، واستمر الوضع على

هذا قروناً طويلة مما جعل في الحسبان أن الشيعة تكتل رافض للسياسات الدنيوية الحاكمة ولأجل تمشية عجلة الحكم الجائر كان لزاماً عليه ـ بعد اليأس من استمالة الشيعة ـ التوجه للمذاهب الأخرى التي تحتفظ بموقف إيجابي في أغلب الأحيان مع بعض الحكّام ـ وفق وجهة نظر ـ مما جعل الصراع قائماً بين الفريقين كمدرستين وكخطين وسياستين لا تلتقي إحداهما بالأخرى في كثير من هذه الحالات.

فالاختلاف بين المذاهب قد يؤدي إلى موقف سياسي أو أزمة اجتماعية بلا فرق بينهما وعلينا احتواء ذلك وفق الضوابط الدينية.

٣ ـ هناك عوامل جعلت المستوى الشيعي العلمي والفقهي الإسلامي أعمق مما عليه المذاهب الإسلامية الأخرى حيث باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه عندنا ومنذ فترة تقارب ألفا ومائة وخمسين سنة يتسابق علماؤنا فيها على الابتكار والإبداع والمناقشة العلمية والفكرية ولم يكن للجمود عين ولا أثر مما جعل الموقف الشيعي يؤخذ بنظر الاعتبار ويولى أهمية أكثر من غيره وأحرى أن يوجّه التقريب نحوه.

٤ ـ إن الخط الشيعي أسبق وجوداً من المذاهب الإسلامية الأخرى ونحن ندّعي ـ وفق الأدلة الكثيرة ـ وجوده من زمن

النبي ﷺ بينما المذاهب الإسلامية الأخرى الموجودة اليوم ظهرت متأخرة عنه في الوجود فالمذهب الحنفي تبع للإمام أبي حنيفة المولود سنة ثمانين للهجرة، ومالك بن أنس إمام المذهب المالكي ولد سنة ثلاث وتسعين وأحمد بن حنبل ولد سنة مائة وأربع وستين، ومحمد بن إدريس الشافعي ولد سنة مائة وخمسين للهجرة، ومن أئمة المذاهب من التقى بأئمة أهل البيت وحضر دروسهم مدة زمنية كأبي حنيفة نعمان بن ثابت ومالك بن أنس(١) وجرت مناظرات بينهم وثبّت لنا التأريخ مناظرات بين الإمام الصادق عليه السلام والإمام أبي حنيفة سُجّل فيها للصادق انتصار كبير ومن هذا المجموع لا بد أن يكون للمذهب الشيعي الأصالة والسبق والقِدم والارتباط بعصر النبوة والرسالة وهذا يدعو الآخرين إلى التقارب معه قبل غيره.

٥ ـ وأخيراً إن التقارب دعوة شيعية أكثر من كونها سنّية وذلك لأن الشيعة على مرور هذه الحقبة الزمنية الطويلة عانوا الويلات من التشهير والتكفير وكمّ الأفواه والاتهامات الباطلة ممن لا تروق لهم الإلفة فحينما ندعو للتقارب وذلك لإطلاع المذاهب الإسلامية

---

١ ـ قال الآلوسي: هذا أبو حنيفة وهو من أهل السنّة يفتخر ويقول بأفصح لسان (لولا السنتان لهلك النعمان) يعني السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الامام جعفر الصادق عليه السلام. كتاب التحفة الاثني عشرية ص٨.

الشقيقة على ما عندنا من إصرار على التقارب والتفاهم لتوضيح الحقائق وإزالة كل ما من شأنه أن يعكّر الأجواء.

والشيعة لديهم الرغبة لوحدة إسلامية كبرى ينطوي تحت رايتها جميع الفرق والمذاهب إلا أننا ندعو إلى حفظ المقاييس والاعتبارات فنحن لا ندعو لتقارب بين الشيعة والبهرة مثلاً مع كامل الاحترام لهم وجميل لو حصل إلا أن ذلك من جهة النظرة المنطقية التي تحتم على البهرة مثلاً أن يراجعوا حساباتهم ولمن عليهم أن يقتربوا وينتموا لأن الإسلام العظيم والرسالة الكبرى لا يمكن وضعها لمجموعة محدودة انفصلت لسبب ما عن التشيع، ولا يهمنا الاعتراف بهذا أو ذاك بقدر ما يهمنا البحث عن الحق والوصول للحقيقة.

علماء الشيعة والتقريب:

سبق أن قلنا إن ديدن الأئمة عليهم السلام هو الاتحاد والتلاحم وتماسك المجتمع البشري وقد سار علماؤنا على هذا النهج إلا أن الهوّة قد اتسعت بسبب النمو البشري واتساع رقعة المعارف على اختلافها والتطور العلمي في كافة المجالات والأيدي المغرضة الممتدة إلى العالم الإسلامي وغير ذلك مما يتطلب جهداً كبيراً من العلماء لتلافي أخطار التباعد.

إننا لا ننسى دعوة المخلصين من علماء السنّة للتقريب كالشيخ محمد شلتوت والشيخ محمد عبده والشيخ سليم البشري وغيرهم ممن أسهم إسهاماً فاعلاً في تقارب المسلمين.

أما علماء الشيعة فأستطيع تصنيفهم إلى صنفين هما علماء العصور السابقة ويعبّر عنهم (المتقدمون) - بلحاظ الزمن - وعلماء العصور المتأخرة ويطلق عليهم (المتأخرون) وكلهم تقريباً قاموا بمحاولات تقريبية جادة حققت نتائج مهمة على مختلف الأصعدة للشواهد الآتية:

أولاً: لو تصفّح القارئ الكريم كتب الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ ـ وهي كثيرة ـ لرأى أنها تسير وفق الخط العام الإسلامي من دون إثارة للحساسيات ونجد أنه قام بالخطوات التالية:

١ ـ تصدّى الشيخ لبيان العقائد الصحيحة مقارنة بآراء المذاهب الإسلامية كما في كتابه أوائل المقالات، ووقف بوجه ظاهرة الغلو الخطيرة والكشف عن طبيعته وحدّه ومناقشة مزاعم الغلاة بالبرهان والدليل وأن المسألة لا ترتبط بالشيعة لا من قريب ولا من بعيد وقد حاربوها بدء من الإمام علي إلى باقي الأئمة عليهم السلام، ولا إشكال أن معالجة هذه الظاهرة رافد من روافد التقريب.

٢ ـ كان يحترم آراء الآخرين ويعمل من أجل الأمة كلها وكان

يناظر أهل كل عقيدة[1] بعيداً عن كل ما يثير الفتنة بين السنّة والشيعة وكان يحضر مجلسه العلمي مختلف العلماء من سائر الطوائف ـ كما يقول ابن كثير ـ .

٣ ـ الحوار الهادف والمناظرات الكثيرة التي أجراها المفيد مع كبار علماء المذاهب الإسلامية بروح علمية إسلامية خالية عن التعصّب مما جعل اللقاء والتلاقح الفكري ممكناً ليستمع كل واحد لدليل الآخر.

ثانياً: سار السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ ـ تلميذ المفيد ـ على خطى أستاذه متبعاً الخطوات التي قام بها وكتابه (الإنتصار) الذي تجد فيه الاتجاه العلمي في الدراسة المقارنة وهو خير مبادرة للتقريب، وهكذا نجد كبار العلماء تسابقوا لهذا الميدان أمثال الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ وكتابه (الخلاف) حيث تناول فيه المسائل الفقهية الخلافية بين الشيعة والسنّة في مختلف أبواب الفقه وتعرّض في كل مسألة لما يسند الجانبين من الأدلة مع المناقشة وكذلك العلاّمة الحلّي في (التذكرة).

ثالثاً: عملت الطائفة بالرواية التي يرويها الراوي السنّي الثقة وتسمّى الرواية الموثّقة، قال الشيخ الطوسي:

ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بما رواه حفص بن غياث وغياث بن كلوب والسكوني وغيرهم من العامة عن أئمتنا عليهم السلام فيما لم

---

١ ـ الشذرات لابن العماد الحنبلي: ٣ / ٢٠٠.

ينكره ولم يكن عندهم خلاف[١].

رابعاً: زيارة الحواضر الإسلامية من قبل كبار علمائنا كالشهيد الأول (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) حيث زار مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم واجتمع مع مشايخ علماء السنّة وقرأ كتبهم وروى عنهم وكان على صلة وثيقة بالاتجاهات الفكرية لهم وحصل تلاقح فكري في مجال الفقه والأصول والعقيدة، وهكذا الشهيد الثاني الذي حضر عند عدد من علماء السنّة أمثال أحمد الرملي الشافعي والشيخ أبي الحسن البكري ودرّس الفقه في بعلبك على المذاهب الخمسة.

خامساً: نجد أنّ الدعوة إلى التقريب جليّة عند علماء الشيعة في القرون الأخيرة ويطول الكلام لاستقصاء ذلك بل أشير إلى بعض العيّنات منهم:

١ ـ السيد البروجردي (١٢٩٢ ـ ١٣٨١هـ) وهو أحد كبار المراجع الشيعة وله خطوات تقريبية ملموسة وخير شاهد علاقته بدار التقريب في القاهرة.

يقول له الشيخ محمد شلتوت في إحدى رسائله:

أثمّن جهودكم وأسأل الله القادر العليم أن يحقق آمالكم الإسلامية وبشراكم فإن خطواتكم على طريق التقريب كانت

---

١ ـ العدة في أصول الفقه: ١٤٩.

مدعاة للصلاح والسير نحو الله[١].

٢ ـ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣هـ) وكان أحد كبار الدعاة لوحدة المسلمين والتقريب بين مذاهبهم من خلال أسفاره إلى الحجاز واجتماعه بكبار علمائهم وبلاد الشام ولقاؤه بالشيخ أحمد طبّارة وعبدالكريم الخليل وفي مصر اجتمع بعلماء الأزهر طيلة ثلاثة أشهر وألقى عدة محاضرات على طلابه وحضوره المؤتمر الإسلامي المنعقد بفلسطين ليلة المبعث النبوي سنة ١٣٥٠هـ وقد حضره كبار علماء المذاهب الإسلامية وألقى فيه خطبة سمعها ما يقارب من خمسين ألفاً وصلّى خلفه الحضور بما فيهم علماء المذاهب الاسلامية الأخرى وطلبوا منه الصلاة بهم مدة بقائه في القدس.

وهو القائل:

"إلى كل ذي حس وشعور يعلم أن المسلمين اليوم بأشد الحاجة إلى الاتفاق والتآلف وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف وأن ينظمّ بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص ولا يدعوا مجالاً لأي شيء مما يثير الشحناء والبغضاء والتقاطع والعداء[٢].

٣ ـ السيد محمد تقي الحكيم، وهو من كبار علماء الشيعة

---

١ . رسالة التقريب العدد: ١٢ الدورة الثالثة.

٢ . المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون: ص١٥.

مؤلف كتاب (الأصول العامة للفقه المقارن) وهو أطروحة جادّة تصب في رافد التقريب مباشرة ونموذج رائد في حقل الدراسات الإسلامية المقارنة.

قال في مقدمة الكتاب عند ذكره فوائد الفقه المقارن ما نصّه:

تقريب شقّة الخلاف بين المسلمين والحدّ من تأثير العوامل المفرّقة التي كان من أهمها وأقواها جهل علماء بعض المذاهب بأسس وركائز البعض الآخر مما ترك المجال مفتوحاً أمام تسرّب الدعوات المغرضة في تشويه مفاهيم بعضهم والتقوّل عليهم بما لا يؤمنون به[١].

٤ ـ الشهيد السيد محمد باقر الصدر أحد أبرز علماء ومفكري الشيعة في القرن العشرين الذي شخّص أهمية وحدة الشعور ليقود إلى وحدة الموقف عند الأمة في ميدان العلم والجهاد، ويخاطب السنّي مثلما يخاطب الشيعي ويبرز هذا الأمر بوضوح في نداءاته ومنها:

أيها الشعب العراقي إني أخاطب في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية بكل فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك بسنّتك وشيعتك لأن المحنة لا تختص مذهباً دون آخر[٢].

---

١ . الأصول العامة للفقه المقارن: ص١٤.

٢ . مباحث الأصول / الحائري: ص١٥١.

ويقول:

إني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلك هذا الوجود من أجل السنّي والشيعي على السواء ومن أجل العربي والكردي على السواء حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام طريق الخلاص وهدف الجميع.

ونجد الروح التقريبية طافحة على بحوثه ومؤلفاته ففي كتابه بحث حول الولاية يتّبع أسلوب المناقشة الهادئ رغم حساسية المطلب وهكذا في غيره.

٥ ـ الجهود التي بذلها علماؤنا الآخرون كالإمام الحكيم وتحريمه القتال بين العرب والأكراد ودعمه لقضية الشعب الفلسطيني وإجازته صرف الحقوق الشرعية على ذلك، والسيد عبدالحسين شرف الدين وما قام به قولاً وفعلاً والامام الخوئي والشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر ودعوة علماء ايران في مؤتمرها السنوي للتقريب بين المذاهب مما يطول بيانه عند التفصيل إلاّ أنني أكتفي بهذه الشواهد.

٦ ـ بالإضافة إلى دور كبار العلماء الأعلام في التقريب نجد أن الإعلام الشيعي على كل المستويات هو الآخر يسهم في مشروع التقريب بعيداً كل البعد عن إثارة الفتنة وتحريك العواطف

متحفظاً في كل ما يطرح وهذا ما نراه فعلاً على مستوى الإعلام المرئي والمسموع ومقابلات رجال الدين الشيعة وما يقوم به خطباء المنبر الحسيني من دور كبير في هذا الجانب التقريبي مما قدّم للأمة عطاء كبيراً في طريق وحدة المسلمين.

نعم بيان الحقائق الثابتة والمدعومة بالدليل بهدف سليم علمي لا يمكن تفسيره بحال من الأحوال أنه إثارة فتنة طائفية وإلا يكون التقريب على حساب المبادئ.

ثقافة التقريب:

قلت إن التقريب هو طريق نحو التوحد والوصول إلى روحية الإسلام وعلى هامش ذلك تطفح معطيات وأهداف لها أثر كبير في نمو ثقافة الفكر الإسلامي على كافة الأصعدة ومنها:

١ ـ يساعد التقريب على فكّ حصار العزلة التي يعاني منها البعض مما يسهّل عملية الدخول للساحة الإسلامية بمقبولية دون تشنّج.

٢ ـ يرتبط تطور الفقه الإسلامي بمنهج التقريب نتيجة تلاقح الأفكار وقد شهدت الساحة الإسلامية شيئاً من هذا القبيل في بعض أدوار الفقه حيث كان الفقهاء من جميع المذاهب يتعايشون ويتدارسون النظريات الفقهية وأساليب الاستنباط مما أثرى الفقه كثيراً.

٣ ـ دراسة قضايا المسلمين والاطلاع على مشاكلهم والتعاون على إيجاد الحلول الناجعة لها والبحث عن نقاط الضعف في الصف الإسلامي بعيداً عن روح الانفراد.

٤ ـ يتولد شعور لدى أبناء المذاهب بالإخاء والتحابب وحسن الظن وسلوك طريق التربية العالية حين يصغي هؤلاء إلى علمائهم وهم يحملون هذه الروح البعيدة عن التعصب والحريصة على المصلحة الإسلامية من جراء التقريب.

الخلاصة

هناك فائدة مترتبة على نفس العملية وذات الحركة التقريبية إذ تعتبر خطوة أولى للتقريب.

ونفس عملية التقريب والدعوة إلى ذلك وإقامة المؤتمرات والندوات لدراسة الأمر تعتبر فائدة مهمة لأنها دعوة إلى الإخاء والتفاهم والتحابب والجلوس على مائدة واحدة وتبديد المخاوف التي ورثناها من الطائفية بعدم القدرة على ذلك.

بالإضافة إلى هذا إن التقريب حسن في كل أمر لأنه من مظاهر التعاون ويولي أهمية كلما كان الموضوع مهماً لذا يعتبر أسمى هدف نسعى إليه باعتبار أهمية الموضوع وحساسيته.

ثم إن الصحوة الإسلامية تشق طريقها الآن لتغزو العالم فكيف

نواجه هذا العالم إذن ونحن نريد ملء الفراغ الروحي هل بعقائد منهارة ولم نقصد الانهيار الذاتي على العكس فالعقائد الإسلامية متينة وقائمة على الدليل إلا أن تشعب الآراء خصوصاً غير المبتنية على أساس يجعلها ضعيفة أمام النقاش والجدل كذلك نحتاج إلى إظهار الأحكام الإسلامية بمظهرها اللائق وهذا مسؤولية كبرى على الأمة أن تكون بمستواها، وإذا عزينا التخلف والهبوط لمستوى الأمة لأسباب فأولها يكون التباعد المذهبي والخلاف الطائفي إذن التقريب له دور كبير في أنقاذ الأمة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

الفكر الشيعي في مواجهة الإرهاب

المقدمة (١)

انقسم المسلمون لسبب وآخر إلى أفكار ومدارس ومذاهب متعددة منهم السنّة والشيعة، وحصلت انقسامات في الجسم الواحد أيضاً، ولكن المشكلة تكمن في أن يُحمل تصرّف مذهب أو فرقة على المسلمين جميعاً، أو يحمل تصرّف شخص مسلم سقيم الفكر على الإسلام قاطبة دون حسابات عقلية ومنطقية مدروسة.

الشيعة الإمامية كيان إسلامي قائم أرسى قواعده النبي والأئمة المعصومون عليهم السلام ويقدّر أبناؤه اليوم بما يزيد على ربع مليار مسلم ينتشرون في أغلب بقاع الأرض فيهم العلماء والفلاسفة والمفكّرون والمثقفون وحملة الشهادات العالية لهم مدرستهم الأصيلة وفكرهم النير وساحتهم الجهادية.

يمتاز الفكر الإمامي برصانة المادة وقوة الحجة ووضوح الرؤية وعدم الضبابية في كل شأن من شؤونه مما جعله مستهدفا أكثر من غيره الأمر الذي حمّله الكثير من المعاناة على طول التاريخ.

في هذا الظرف الذي يمر به الإنسان المعاصر حيث يحتدم

---

١ ـ نشر البحث في مجلة الأنوار في كندا وجريدة الزمان / لندن.

الصراع في ميادين متعددة وتختلط الأوراق ويحترق الأخضر بفعل اليابس ويطفح على السطح من المتراكمات التي حان الوقت لتصفية حساباتها مما يحتم علينا قول الحقيقة لأنها جزء من رؤانا الواضحة.

الصراع في وقتنا الحالي بين الإرهاب في أوجه والحرية في أوجها حيث أصيبت بالصميم وتشعبت الآراء وكثرت وجهات النظر وكل فئة تحاول أن تبرّأ نفسها لئلا ينالها شيء من الويل والعذاب الذي هو نتيجة حتمية لما وقع.

الإرهاب لغة: يعني العنف والتخويف، واستعمله القرآن الكريم في أكثر من آية:

في سورة الأنبياء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ وفي سورة الأنفال ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وغير ذلك من الآيات وفسرّ الإرهاب بإزعاج النفس بالخوف.

إننا كمسلمين وبوجه التحديد إننا كشيعة ـ ولا أعني الإثنينية بل هو مصطلح عُرفنا به ـ نعتقد ونؤمن إيمانا قاطعا ومن منطوق ومفهوم ما ورثنا أن ديننا يحترم الإنسان بغض النظر عن الهوية والانتماء بل يحترمه لإنسانيته، ونحن المسلمين كغيرنا من البشر نتألم ونحزن لكل كارثة إنسانية تحل بغض النظر عن الدين

والمعتقد وهذا أمر واضح.

ثمة نظرة خاصة من منظار الفكر الشيعي للإنسان بما هو إنسان من خلال كلام الإمام علي رائد التشيع حيث ورد عنه الكثير من التصريحات نقتطف منها موردين وردا في نهج البلاغة:

١ ـ حينما بعث مالك بن الحارث المعروف بالأشتر واليا من قبله إلى مصر كتب له دستور الحكم الإسلامي وكيفية التعامل مع الرعية ولم يترك فيه ملاحظة صغيرة أو كبيرة إلا وذكرها ليعكس لنا فكرة الإسلام الأصيل.

يقول في مقطع من كلامه: "***وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق***".

وهنا يمنع الإمام علي مالك الأشتر من اتخاذ أسلوب العنف والإرهاب بحق الرعية لسببين الأول الأخوة على أساس الدين، وهذا بالنسبة للمسلمين والأخوة على أساس التشابه بالخلقة وهذا يشمل المسلمين وغيرهم.

أراد الإمام من واليه أن ينطلق في التعامل مع الناس بهذه الروحية والسمو التي أرادها الإسلام بعيدا عن النظرة الإحادية الضيقة.

٢ ـ المورد الثاني أن معاوية بن أبي سفيان بعث جيشاً إرهابياً لغزو مدينة الأنبار العراقية إبان حكومة الإمام علي ودخل الجيش وعـاث في الأرض فسـادا فـألقى الإمـام خطابـا في عاصـمة حكمـه (الكوفـة) نعـرف مـن خلالـه النظرة الـتي حمـلها عـلي عليه السلام حيـث قال:

"*ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدة فينتزع حِجلها وقُلبها ـ أي السوار ـ وقلائدها ورُعثها ـ مثل الخمار ـ ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلا منهم كَلْم ولا أُريق لهم دم، فلو أن أمرءاً مسلما مات من بعد هذا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديراً*".[1]

مـن خـلال الـنص نلاحظ تأثر الإمام علي للمرأة المعاهدة وهي الذمـية غـير المسـلمة حيـنما تتعرض للإرهـاب بقـدر تأثّـره لـلمرأة المسـلمة وهـذا أعـلى درجـات الإيمـان بكـرامة الإنسـان في الـرؤية الإسلامية.

نعـم حيـنما ينسـلخ الإنسـان مـن إنسـانيته ويرتكـب مخالفـات وتجـاوزات في عـرف القـانون الإسـلامي فلـه حسـاب آخـر ونظـرة

١ ـ نهـج البلاغـة ـ الخطبـة ٢٧ قالهـا يستنهض بهـا الـناس حـين ورد خـبر غـزو الأنبار.

أخرى لها فقهها الخاص من منظورنا فلا أسمّي المدافع عن دينه وعقيدته وأرضه وعزّته وكرامته ـ حينما تتعرض لاعتداء وتجاوز ـ إرهابيا وإلا لا يسلم أحد من هذه التسمية.

لهذا نحن نتعامل مع أهل الذمة مثلا من غير المسلمين معاملة باحترام وضمان كافة حقوقهم في حدود الدولة الإسلامية ما داموا محتفظين بحدود الذمّة وحفظ مشاعر المسلمين نظير ما نُعطى من حق في حدودهم وبلدانهم فإذا حصلت تجاوزات من قبلنا في ديارهم يتخذون إجراءات قانونية معينة لهم الحق في اتخاذها مع علمنا بها مسبقاً.

إننا فكرا ودلالة نمتلك شواهد كثيرة قديمة وحديثة على رفضنا للإرهاب جملة وتفصيلا ولدينا مفردات كثيرة منها:

١ ـ توجد شواهد تاريخية كثيرة وعلى سبيل المثال يذكر الطبري في تأريخه وغيره أن خالد بن الوليد سار في عهد الخليفة الأول أبي بكر إلى منطقة البطاح حيث يسكنها مالك بن نويرة وجماعته بعدما امتنعوا من دفع الزكاة لسبب ناشئ من اختلاف وجهات النظر في الخليفة الشرعي الذي تسلّم له الزكاة، وقد أمر الخليفة خالدا وجماعته أن إذا رأيتموهم يصلّون فلا تقاتلونهم، وقد أقاموا وصلّوا فحبسهم خالد في ليلة شديدة البرد وأمر مناديه أن ينادي (أدفئوا أسراكم) ويقصد اقتلوهم وفعلا قتلوهم ومثّلوا

بهم ودخل خالد بزوجة مالك ((أم تميم)) في تلك الليلة.[١]

إن موقفنا من هذا العمل موقف صريح أنه إجرامي وإرهابي لا يمتّ للدين بصلة نبرأ إلى الله منه وممن فعله، واتخذ الإمام علي موقفا حازما في الاحتجاج على هذا العمل وإدانة الفاعل ومعاقبته وكذلك الخليفة عمر بن الخطاب ونحن لا زلنا إلى الآن ندين العملية ونعتبرها فعلا شنيعا ولنا موقف ممن عملها رغم مرور أربعة عشر قرنا عليها.

٢ ـ يروي التاريخ أن مسلم بن عقيل رسول الإمام الحسين لأهل الكوفة إبان ثورة كربلاء كان خصمه الخط الأموي وعبيد الله بن زياد يمثّلهم آنذاك بالكوفة وأتيحت لمسلم بن عقيل فرصة هي بنظر السياسيين ذهبية وهي اغتيال عبيد الله بن زياد بطريقة المفاجأة حينما جاء لزيارة أحد الوجهاء وهو شريك الذي كان في بيت هاني بن عروة حيث يحلّه مسلم بن عقيل ضيفا أيضا وامتنع من القيام بالعملية في آخر لحظة معللا ذلك بقول الرسول ﷺ إن الإيمان قيّد الفتك والمؤمن لا يفتك[٢]، وهو مبدأ صحيح فيه دلالة واضحة إلى أن الإسلام يرفض هذا اللون من القتل وليس من

---

١ . انظر تاريخ الامم والملوك للطبري ٥٠٢/٢ في حوادث سنة ١١هـ وانظر الكامل لابن الأثير ٣٢/٢ وغيرهما.

٢ . انظر التفصيل في نفس المصدرين في حوادث سنة ٦٠هـ .

أخلاق المسلمين.

٣ ـ على مستوى القول والتوصيات والكتابات فلدينا تراث ضخم حيث صدر من أئمتنا روايات كثيرة منها قول الإمام الصادق عليه السلام:

(يا بن جندب بلّغ معاشر شيعتنا وقل لهم لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس)[1].

لاحظ العبارة الأخيرة (ليس من شيعتنا من يظلم الناس) مطلق الناس بغض النظر عن الانتماء والهوية وهذا يمثّل قمّة التكامل في الفرد المسلم الشيعي في نظرته للآخرين، ومثل هذه الرواياة بالمئات.

٤ ـ لو نرجع إلى القانون الفقهي الجنائي يتضح الأمر جليًا حيث تعطينا القراءة السريعة لبعض مسائله صورة كاملة عن احترام الإنسان بنظر الإسلام مثلاً:

أ ـ من ضرب هدفاً فأصاب إنسانا أو ضرب صبيًا تأديبا فمات اتفاقا أو نحو ذلك فيجب دفع الدية عنه.

ب ـ من صاح على أحد فمات من أثر الصيحة فإن كان قاصدا لموته كما إذا علم أنه يموت من أثر الصيحة لحالته المتدوهرة مثلاً

١ ـ تحف العقول ص٢٠٦.

أو الظرف كان يقتضي ذلك وكان الصائح يعلم بذلك واستند الموت للصيحة فعليه القصاص وإلا فعليه الدية.

ج ـ لو ألقى شخص قشر بطيخ أو موز ونحوه في الطريق أو أسال الماء فيه فزلق به إنسان فتلف أو كسرت رجله أو يده مثلاً ضمنه المسبِّب.

إلى غير ذلك من المسائل العديدة التي تدل على احترام الإنسان، ومن أراد المزيد فليرجع لكتبنا الفقهية والرسائل العملية لفقهائنا الأعلام، فهل بعد هذا يحق لأحد أن يتطاول على الإسلام ويصفه بالإرهاب.

ولو نرجع قليلا الى التأريخ وبالضبط إلى زمان النبي محمد ﷺ ومبدأ الحكومة التي أسسها نجد أنه يتجلى في الرحمة والعطف والإحسان الواقعي لا الشعاري وعلى المستوى العلمي والعملي فالنبي يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، لم يهاجم مشركا قط بلون من ألوان العنف، نعم كان يطرح ما عنده على شكل دعوة للحق معززة بالدليل قد أخذ فيها بنظر الإعتبار احترام الطرف المقابل فيضع أمامه الخطاب السماوي ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ ربَّكَ هو أعلمُ بمن ضَلَّ عن سبيلِه وهو أعلمُ بالمهتدين﴾[1].

---

١ . النحل ـ آية ١٢٥.

حتى الحروب التي خاضها الرسول لم تكن ابتدائية وانما أغلبها حروب دفاعية من منطلق الحق المشروع، يتجلى فيها الأدب السماوي وعدم تجاوز الحدود.

ونموذج آخر في حكومة الإمام علي عليه السلام وما اتسمت به من ملامح تعكس رؤيته إلى رفض كل ألوان العنف كما بيّنا.

إذن يجب أن نفهم بدقة الفكر الشيعي وتعامله مع الآخرين وعدم إطلاق الكلمات جزافا وأن نميّز بين الإرهاب بصورته الحقيقية والمدبلجة لغرض وآخر حتى يتسنّى لنا إفهام الآخرين روح الاسلام وتعاليم الدين الحنيف ومبادئ شريعته السمحة.

نعم ليس معنى ما تقدّم أننا نقف مكتوفي الأيدي تجاه المنكرات والمحرّمات التي ترتكب بل الوظيفة الشرعية تحتم على المسلمين ان يردعوا عن ذلك وفق الشروط المبينة في الكتب الفقهية متخطّين المراحل التي بيّنها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المشهور الذي يقول فيه ***(من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)***[1].

والحمد لله ربّ العالمين

١ ـ وسائل الشيعة ١٦/١٣٤ ح١٢ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢١.

المحتويات

* * *

مقالات إسلامية

ابراهيم النصيراوي